إشراقاتٌ مِنْ آيةِ الدَّيْن لإزالة الرَّيْن عن خطورة الدَّيْن بين المتداينَيْن

2023-05-05

الحمد لله، أتم علينا نعمتَه، وأحسن إلينا بشريعته، وأفاض علينا بكرمه ومِنَّتِه، فسُبْحَانَهُ من إلهٍ أنْعَمَ عَلى العِبَادِ بِإِنْزَالِ الكِتَابِ، هُدَىً وذِكْرَى لأُوْلِي الأَلْبَابِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، جَعَلَ مِنَ الأَمَانَةِ وفِعْلِ الخَيْرِ المُحَافَظَةَ على مَالِ الغَيْرِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ الصَادِقُ الأَمِينُ، دَعَا إِلى حُسْنِ التَّقَاضِي بَيْنَ الدَّائِنِ والمَدِينِ،

يا أمّة المصطفى يا سادة الأُمَمِ * هذا محمّدنا طريقه واضح
وبهديه مهما اهتديتم تُفلحوا * وإذا أردتم في الأمور تنجحوا
صلّوا عليه في كل حين تربحوا

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. ذخيرة المحتاجين الواقفين بباب كرم الله. وعلى آله ذوي السيادة والجاه. وصحابته العديمين في المحبّة النظائر والأشباه. صلاة تجعلنا بها من المهتَدين بهداه. المغترِفين من بحر كرمه ونَداه. الساعين في تحصيل طاعته المقبولة ونيل رضاه. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. يقول الله تعالى في سورة النساء: ((إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا)). الدواوين عند الله في يوم القيامة ثلاثة: فديوان لا يغفره الله أبدا؛ وهو الشرك، وديوان لا يَعْبَأ اللهُ به؛ وهو ظلم العبدِ نفسَه فيما بينَه وبينَ ربه، وديوان لا يترك اللهُ منه شيئًا أبدا؛ وهو ما يكون بين العباد من حقوق وتظالم، فهذا الديوان لا يتركه الله حتى يقتصَّ للعباد من أنفسهم فيأخذ لكل ذي حق حقه، بل حتى البهائم لا يجعلها الله ترابا حتى يقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء، وهذا أمر جَلَل، يخاف منه المسلمُ الصادقُ؛ فيحرص على أن يتحلل في هذه الدنيا من حقوق العباد، ويخرج منها وهو خفيف الظهر من حقوق الناس وأعراضهم، خميص البطن من أموالهم. هذا وإن من أعظم مجالات حقوق العباد التي يحصل فيها كثير من التظالم والتفريط مجال الديون والاستدانة، تلك القضية التي انتشرت وفشت في المجتمعات

المسلمة وغيرها، وكثيرا ما تجد الناس إما دائنين أو مدينين؛ مما يتطلب وقفة صادقة عند هذا الأمر توجيها وإرشادا ونصحا وتذكيرا. أيّها المسلمون. لَقَدْ جَاءَ الإِسْلامُ بِمَا يُحَقِّقُ مَصَالِحَ النَّاسِ وَيَدْفَعُ الضُّرَّ عَنْهُم، فَيَسَّرَ لَهُم سُبُلَ التَّعَامُلِ فِيمَا بَيْنَهُم، وَشَرَعَ مِنَ الأَحْكَامِ مَا يَضْمَنُ حُقُوقَهُم ويَحْفَظُ أَمْوَالَهُم، لِكَيْ تَسُودَ المَحَبَّةُ وتَبقَى المَودَّةَ، فَيَحْيَونَ حَيَاةً سَعِيدَةً نَقِيَّةً، لا يُعَكِّرُ صَفْوَهَا كَدَرٌ ولا ضَغِينَةٌ، وَمِنْ جُمْلَةِ ذلِكَ مَا قَرَّرَتْهُ آيَةُ الدَّينِ التي هِيَ أَطْوَلُ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ، فَقَدْ تَضَمّنَتْ هَذِه الآيَةُ أحْكَاماً عَظِيمَةً لِمَا يَلْزَمُ لِلأَمْوَالِ مِنْ حِفْظٍ وتَوْثِيقٍ، ونَصّتْ عَلَى مَا للدّائِنِ والمَدِينِ مِنْ حُقُوقٍ، صَوْناً لِعَلاقَتِهِمَا مِنْ أنْ يَعْصِفَ بِها الجِدَالُ، وتَسْهِيلاً لِمَا يَضْمَنُ لَهُمَا السَّلامَةَ فِي المَآلِ. قال تعالى في سورة البقرة: ((يَأَ يُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ. وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ. وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ. كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ. وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا. فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ. وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ منْ رِجَالِكُمْ. فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى. وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا. وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ. ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا. وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ. وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ. وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ. وَاتَّقُوا اللَّهَ. وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ. وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)). أيّها المسلمون. يُخَاطِبُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادَهُ فِي بِدَايَةِ هَذِه الآيَةِ بالصِّفَةِ التي تُمَيِّزُهُم، وتُحَرِّكُ مَشَاعِرَهُم، فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا))، إِنَّهَا صِفَةُ الإِيمَانِ التِي تَرْبِطُهُم باللهِ، وتَدْعُوهُم لِلوَعْيِ والانتِبَاهِ، فَخَالِقُ البَشَرِ أَعْلَمُ بِما فِيه صَلاحُهُم فِي الدُّنيا، وَمَا يَتَرَتَّبُ عَليه فَلاحُهُم فِي العُقْبَى، لَقَدْ فَطَرَهُم عَلى حُبِّ المَالِ، وأَمَرَهُم أنْ يَسْتَخْدِمُوه فِي صَالِحِ الأعْمَالِ، بِمَا يَعُودُ عَلَيهِم وعَلَى بَنِي جِنْسِهِم بالنَّفْعِ فِي الحَالِ والمَآلِ، فَكَانَ تَشْرِيعُ الإسْلامِ لِعَقْدِ التَّدَايُنِ بَيْنَ النَّاسِ لِمَا فِيه مِنْ مُسَاعَدَةِ المُحْتَاجِينَ وتَنْفِيسِ كُرْبَتِهِمْ وَحِفْظِ حَيَائِهِم وكَرَامَتِهِم، فَيَنْتَفِعُ بِه ذَوُوا القَرَابَاتِ، وَيُغَاثُ بِه أَهْلُ الحَاجَاتِ، ويُتَوَصَّلُ عَنْ طَرِيقِه إِلى فِعْلِ الكَثِيرِ مِنَ الخَيْرَاتِ، إلاَّ أَنَّ

الإِسْلامَ وَفِي الوَقْتِ الذي أَبَاحَ فِيه مَالَ الغَيرِ بِإِذْنِهِ ورِضَاه جَعَلَ لِهَذا المَالِ حُرْمَةً يَجِبُ مُرَاعَاتُها، وَيَلْزَمُ حِفْظُهَا وَصِيانَتُها، فَأَمَرَ بِتَوْثِيقِ العُقُودِ، حِمَايَةً لَهَا مِنَ النُّكْرَانِ والجُحُودِ، فَقَالَ جَلَّ شَأنُهُ: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً فَاكْتُبُوهُ))، إِنَّهَا نِعْمَ الوَصِيّةُ مِنْ رَبِّ البَرِيَّةِ، فَقَدْ أَمَرَ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ المُؤمِنِينَ بِكِتَابَةِ الدَّيْنِ لِمَا فِيهَا مِنْ حِفْظِ الأمْوَالِ وأَدَاءِ الأَمَانَاتِ، ورَفْعِ الارتِيَابِ وسَدِّ أَبْوَابِ الخِلافِ والخُصُومَاتِ، فَقَدْ تَتَزَعْزَعُ الثِّقَةُ وتَضْعَفُ الذِّمَمُ، وَيَطُولُ الأَمَدُ وَيَزْدَادُ الطَّمَعُ والجَشَعُ، فَتُنَازِعُ النَّفْسُ صَاحِبَها إِلى الإنْكَارِ، أوالكَذِبِ فِي أَصْلِ الدَّيْنِ أو المِقْدَارِ، فَحِمَايَةً للدَّائِنِ مِنْ ضَيَاعِ مَالِهِ، أو الإنْقَاصِ مِنْ مِقْدَارِه، أو نِسْيَانِهِ عِنْدَ حُلُولِ أَجَلِهِ ومِيقَاتِهِ، شَرَعَ اللهُ تَوْثِيقَ الدَّيْنِ بِالكِتَابَةِ، لِيُرْجَعَ إِلَيْهَا عِنْدَ الحَاجَةِ. أيّها المسلمون. وَحَتَّى تَتَحقَّقَ الحِكْمَةُ المُرَادَةُ مِنْ كِتَابَةِ الدَّيْنِ أَمَرَ المولى عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَتَولاهَا مَنْ كَانَ بِهَا عَارِفاً، ولِشُرُوطِهِا مُرَاعِياً؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ((وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ))، إِنَّهُ كَاتِبٌ مُخْتَصٌ بِتَوثِيقِ العُقُودِ، مَوْصُوفٌ بِالعَدْلِ، لَيْسَ فِي قَلْبِهِ وَلا قَلَمِهِ مَيْلٌ لأحَدِ المُتَعَاقِدَينِ عَلى الآخَرِ، فَلا يُنْقِصُ فِي مِقْدَارِ الدَّيْنِ ولا أَجَلِهِ ولا يَزِيدُ، بَلْ يُوضِّحُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيَضْبِطُهُ بِالدِّقَّةِ والتَّحْدِيدِ، وَلَمْ يَجْعَلِ الحَقُّ سُبْحَانَهُ الكَاتِبَ أَحَدَ المُتَعَاقِدَينِ، لِمَا يُخْشَى مِنْ تَرْكِهِمَا لِبَعْضِ أُمُورٍ ضروريَّةٍ يَجْهَلُونَهَا، أَو اخْتِلافٍ فِي أُخْرَيَاتٍ يَتَوَهَّمُونَهَا، فَكَانَ مِنَ الحِكْمَةِ وَالحِيطَةِ والحَيْدَةِ المُطْلَقَةِ اسْتدعَاءُ ثَالثٍ غَيْرِهِما، وَقَدْ أَكَّدَ المَولى سُبْحَانَه عَلى الكاتَبِ فَنَهَاهُ عَنِ الإِبَاءِ، أو أَنْ يَقَابِلَ المُتَعَاقِدَيْنِ بِالجَفَاءِ، فقال: ((وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ))، فَمَنْ آتاهُ اللهُ العِلْمَ بِالكِتَابَةِ والأحْكَامِ الشَّرعِيَّةِ والشُّرُوطِ المَرعِيَّةِ والاصْطِلاحَاتِ العُرفِيَّةِ وَتَعَيَّنَ لِهَذا الغَرَضِ عَليه ألاَّ يَبخل بِمَعْلُومِاتِهِ، ولا يَبْخَلَ بِكِتَابَتِهِ؛ وَفَاءً وَشُكْراً لِفَضْلِ اللهِ عَليهِ، وإِحْسَاناً إِلى الخَلْقِ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِليهِ. أيّها المسلمون. لَقَدْ رَبَطَتْ هَذِه الآيَةُ الكَرِيمَةُ التَّشرِيعَاتِ الرَبَانِيَّةَ بِوِجْدَانِ الإنْسَانِ، لِيَأْتِيَهَا بِدَافِعِ الطَّاعَةِ والرِّضَا والإذْعَانِ، فَذَكَّرَتِ الكَاتِبَ بِفَضْلِ اللهِ عَليه، لِيَنْشَطَ فِي أَدَاءِ التَّكْلِيفِ، مِنْ غَيْرِ تَأخِيرٍ وَلا تَسْوِيفٍ، كَمَا حَدَّدتْ مَنْ يُمْلِي الدَّيْنَ عَلى الكَاتِبِ، لِيَقُومَ النَّاسُ بِأدَاءِ وَاجِبِهِم، ويَتَمَتَّعُونَ بالضَّمَانِ الذِي يَحْمِيهِم، فَلا يَقَعُ بَخْسٌ ولا إِنْقَاصٌ، فِي أَيِّ حَقٍّ مِنْ حُقُوقِ النَّاسِ، يَقُولُ تَعَالى: ((وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ))، فَالمَدِينُ الذِي عَلِيه الحَقُّ هو

الذي يَقُومُ بِالإمْلاءِ أَمَامَ الكَاتِبِ، فَيَعْتَرِفُ بِالدَّينِ ومِقْدَارِهِ، والمَوعِدِ الذي يَتَعَهَّدُ بِالسَّدَادِ فِيه، لِيَكُونَ إِقْرَارُهُ حُجَّةً عَليه، وأَثْبَتَ فِي ذِمَّتِه، وأَقْوى فِي تَوثِيقِهِ، وَفِي الوَقْتِ ذَاتِهِ يَسْتَحِثُّ المَولى سُبْحَانَهُ ضَمِيرَ المَدِينِ، وَيُوقِظُ شُعُورَهُ، لِيَلْتَزِمَ بِالحَقِّ فِي إِمْلائِهِ، وَلا يَغْفَلَ عَنْ شَيءٍ مِنْ شُرُوطِهِ، فَيَكُونَ ذَلِكَ أَدْعَى لَهُ فِي رَدِّ الدَّيْنِ وَوَفَائِه، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ((وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً))، فَمَا أَعْظَمَ التِزَامَ التَّقْوى فِي كُلِّ شَيءٍ؛ إِنَّ المَدِينَ إِذا أَصْلَحَ نِيّتَهُ واسْتَحْضَرَ نِيّةَ الأَدَاءِ عِنْدَ أَخْذِهِ، والتَزَمَ التَّقْوى في تَعامُلِه مَعَ غَيرِه؛ أَعانَهُ اللهُ في سدادِ دَيْنِه، يقولُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: ((مَنْ أَخَذَ أَموالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَها أَدَّى اللهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَها يُريدُ إِتْلافَها أَتْلَفَهُ اللهُ))، وَرَوَى النَّسَائِيُّ: ((أَنَّ أُمّ المؤمنين السيّدة مَيْمُونَةَ بنت الحارث رضي الله عنها زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَدَانَتْ. فَقِيلَ لَهَا: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ تَسْتَدِينِينَ وَلَيْسَ عِنْدَكِ وَفَاءٌ؟ فَقَالَتْ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يَقُولُ: مَنْ أَخَذَ دَيْنًا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُؤَدِّيَهُ أَعَانَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ)). أيّها المسلمون. قَدْ لاَ يُحسِنُ المَدينُ التَّعبيرَ في إِملاءِ حَقِّه، بِسَبَبِ سَفَهِه أَو خَلَلٍ في عَقْلِه، أو ضَعْفٍ في نَفْسِه، أو صِغَرٍ في سِنِّه وعَدَمِ إِينَاسِ رُشْدِه، بلْ قد لاَ يَستَطيعُ الإملاءَ مُطْلَقاً لِخَرَسٍ يَمنعُه منَ الخِطَاب، أو آفةٍ في لِسانِه أو نَحوِ ذَلِكَ منَ الأَسبابِ، فكانَ مِنْ يُسرِ الإسلامِ وحِرصِه على تَوثِيقِ الحقُوقِ أنْ أنابَ عَنْ هذا العاجزِ وليَّهُ الَّذِي يتولَّى أُمورَه، لِيقُومَ بِالإملاءِ عَنْهُ، يقولُ الحَقُّ سُبْحانَهُ: ((فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ))، وقدْ أَكَّدَ اللهُ علَى الوليّ التزامَ العَدلِ؛ لأَنَّهُ رُبَّما تَهاونَ في ذَلِكَ قَلِيلاً، علَى اعتِبار أَنَّ الدَّيْنَ لا يَخصُّهُ شَخصيّاً، معْ أنَّ الوَلايةَ تَقتَضِي الرِّعايةَ والحِمايةَ. أيّها المسلمون. إذا كانتْ كِتابةُ الدَّيْنِ سبِيلاً للاستِيثَاقِ في الحُقُوقِ، فإِنَّ هُنَاكَ سَبِيلاً آخَرَ يُؤَكِّدُه ويُوثِّقُه، أَلاَ وهوَ الشَّهادَةُ، بلْ إِنَّها مِنْ أَقْوَى الأَدلَّةِ في إِثْباتِ الحُقُوقِ ونَفْيِها، لِذا عُنِيَ الإسلامُ بِبَيَانِ شُرُوطِها وتَفْصيلِ أحكامِها، وما أكثرَ ما جاءَ مِنْ تَأكيدٍ على العَدالَةِ عِنْدَ تَحمُّلِها، ففِي كتابةِ الدَّيْنِ أَمَرَ سُبحانَهُ بِإِحضَارِ الشُّهُودِ، لِيُضفِيَ مَزِيداً منَ الاستقرارِ في العُقُودِ، فَلاَ يكونُ هُناكَ مَجالٌ لإِنكَارِ حَقٍّ أو تَحْرِيفٍ، لِما قَدْ يَطرقُ الكِتَابةَ مِنْ مَسحٍ أو تَغْيِيرٍ، وأَكَّدَ تعالى على صِفَةِ العَدالَةِ في

الشُّهُودِ، فَقَالَ: ((مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ))، وكَما نَهى سُبْحانَهُ الكَاتِبَ عَنْ رَفْضِ الدَّعْوَةِ لِلكِتَابَةِ نَهَى أَيضاً الشُّهُودَ عَنِ الامتِنَاعِ أَوِ التَّحَرُّجِ مِنَ الشَّهَادَةِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ((وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا))، وبِالمُقَابِلِ شَدَّدَ سُبْحانَهُ علَى المُتداينَيْنِ أَنْ يُلحِقَا الضَّررَ أَوِ المَشقَّةَ بِالكاتِبِ أو أَحَدِ الشُّهُود، واعتَبَرَ ذَلِكَ فُسُوقاً وخُرُوجاً عَنْ طَاعَةِ اللهِ، فقالَ: ((وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ))، كلُّ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ إِشَاعَةِ التَّعاوُنِ بينَ أَفْرادِ المُجتمعِ لِحِفْظِ حُقُوقِهِم، وَعَدَمِ وُقُوعِ أَيِّ ضُرٍّ بِأَحَدِهِمْ. أيّها المسلمون.
لَقَدْ عُنِيَ الإسلامُ بالنُّظُمِ الاقتصاديةِ فأَولاَها الاهتِمَامَ البالِغَ، ولَيْسَ أدلَّ علَى ذَلِكَ مِنْ جَعْلِ آيةِ الدَّيْنِ أَطْولَ آيةٍ في كِتَابِ اللهِ، فَقَدْ أَصَّلَتْ هذِهِ الآيةُ الكريمةُ كُلِّيَّاتٍ مِنْ مسائلِ المُعاملاَتِ، لِيسلُكَها النَّاسُ في سَائِرِ المُفْرداتِ والجُزئِيَّاتِ، بِما يَعُودُ نَفْعُهُ على الأَفْرادِ والجَماعَاتِ، ففِي كِتَابةِ المُدايَنَاتِ وغيرِها منَ المُعاوَضَاتِ والاتِّفَاقِيَّاتِ حِفْظٌ لِلْحُقُوقِ مِنَ الضَّيَاعِ، وسَلاَمةٌ لِلصُّدُورِ مِنْ سَيِّءِ الظُّنُونِ، وحِمايةٌ لِلمُجتَمعِ مِنَ التَّصدُّعِ والشَّتَاتِ، لِذَا فَقَدِ استعملَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الكِتابةَ في كَثيرٍ منَ المَجالاتِ مِنْ عقودٍ ومُعاهداتٍ، بل أَرشدَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ المُسلمينَ إلى ذَلِكَ فقال في الحديث المتفق عليه عن سيّدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يحلُّ لامرئٍ مُسلمٍ لهُ شيءٌ يُوصِي بِهِ يَبيتُ لَيلتَيْنِ إلاَّ ووَصِيَّتُهُ مكتوبةٌ عندَ رأسِه)). أيّها المسلمون. إِنَّ بَعضَ النَّاسِ يتركُ كِتَابةَ الدَّيْنِ لِقِلَّتِهِ، أو اعتماداً علَى ثِقَتِهِ بِالآخرِ لِقَرابَتِهِ أو صَداقَتِه، أَو لأنَّهُ يَرى في الكِتَابةِ حَرجاً، أو يَدعُها تَكَاسُلاً وسأَماً، فَيَنْهَى اللهُ هؤلاءِ، ويُنَبِّهُهم أَنَّ القليلَ والكثيرَ في ذَلِكَ سواء، وأنَّ هَذا أَعْدلُ عندَ اللهِ وأنفعُ لِعِبادِه، لأَنَّها أقطعُ للمنازعةِ والارتيابِ وأثبتُ للشَّهادَةِ، يقولُ سُبْحانَه: ((وَلا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُوا))، إِنَّ الإسلامَ بهذا التشريعِ العظيمِ يُعلِّمُ النَّاسَ حِفْظَ حُقُوقِهم وضَبْطَ أَموالِهم، وهو في الوقتِ ذَاتِه لا يُريدُ تَكليفَهم بِما يشقُّ عليهم، لذا استثنى الحقُّ سُبحانه التِّجارةَ الحاضرةَ بِعَدَمِ اشتراطِ الكتابةِ فيها، فقالَ عزَّ وجلَّ: ((إِلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلا تَكْتُبُوهَا)). إِنَّ الأحكامَ التي تَضمَّنَتْها آيةُ الدَّيْنِ لها أهدافُها العُظمى وغاياتُها الكُبرى في حِفْظِ مصالحِ الأَفْرادِ،

وتَوفِيرِ الأَمْنِ والاستِقْرارِ لِلمُجتَمعَاتِ. أيّها المسلمون. فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، وتَدَبَّرُوا في آيةِ الدَّيْنِ، وقُومُوا بِما أوجبَ اللهُ عليكُم مِنْ أداءِ الأَمانَاتِ إِلَى أَهلِها، وأَقِيمُوا الشَّهادَةَ للهِ، في جَميعِ أُمُورِكُمْ وتَعاملاتِكُم، كَما أَمرَكُم بِذَلِكَ خَالِقُكُم مُدَبِّرُ أُمورِكُم، العالِمُ بِسِرِّكُم وعَلاَنِيَتِكُم. مُخلِصينَ للهِ مُتَّبِعِينَ لأَمرِه، قَاصدِينَ بذلكَ إبراءَ ذِممِكُم وصلاحَ مُجتَمعِكُم. اللهُمَّ إنَّا نَعوذُ بكَ من المَأثَمِ والمَغْرَمِ، ونعوذُ بك من غَلَبَةِ الدَّيْنِ وقَهْرِ الرِّجالِ. اللهُمَّ أغْنِنَا بِحَلالِكَ عن حَرَامِكَ، وبفَضْلِكَ عمَّنْ سِواك، اللهُمَّ أعْطِنَا ولَا تحْرِمْنَا، وزِدْنَا ولَا تُنْقِصْنَا، وكُنْ لنا ولا تَكُنْ علينا، واهدِنا ويَسِّرِ الهدى لنَا. اللهُمَّ فَرِّجْ هَمَّ المَهْمومين، ونَفِّسْ كَرْبَ المَكْروبين واقْضِ الدَّيْنَ عنِ المَدينين، واشْفِ مَرْضَى المسلِمين. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين. وآخِر دعوانا أنِ الحمد لله ربّ العالمين. اهـ